گـۆڤـاري زانـكـۆي ڕاپـەڕيــن
Journal of University of Raparin.
مجلة جامعة رابرين

E-ISSN: 2522 – 7130 P-ISSN: 2410 – 1036
This work is licensed under CC-BY-NC-ND 4.0
DOI:10.26750/Vol(11).No(2).Paper2

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٢/١١/١١
تاريخ الــقبول: ٢٠٢٣/٠٢/٠١
تاريخ النـــشر: ٢٠٢٤/٠٤/٢٩

وصف مدينة القسطنطينية وبيان أهميتها من خلال كتب الرحالة والبلدانيين في العصور الوسطى

بحث مستل من أطروحة دكتوراه

إيمان طلعت عبدالرزاق[١] - نيشتمان بشير محمد[٢]

nishtiman.mohammad@su.edu.krd - iman.abalrazak@su.edu.krd

[٢+١]قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، أربيل، إقليم كردستان، العراق.

الخلاصة

القسطنطينية هي تلك المدينة التي بشر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بفتحها بقوله: " لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ونعم الجيش ذلك الجيش، والمدينة التي اشهاها العالم، تميزت بأهميتها الكبيرة ومكانتها التاريخية والدينية والسياسية والاقتصادية، ما دفع ذلك كبار القادة والكتاب والمؤرخين قديما وحديثا والشعراء بالاهتمام بها والكتابة عنها، وكأن هذه المدينة خلقت لتكون إمبراطورية كبيرة استمرت لأكثر من ألف عام، ومما ساعدها على البقاء هو بناؤها الضخم الذي بناه الإمبراطور قسطنطين الكبير سنة ٣٢٤م لتكون عاصمة الإمبراطورية البيزنطية الشرقية، هذا البناء الضخم يتمثل في أسوارها العالية المحصنة وكنائسها الضخمة والباقية لحد الآن مثل كنيسة أياصوفيا، وجعلها من أهم المراكز الثقافية ورمز من رموز الحضارة العريقة إضافة لاختياره لهذا الموقع الجغرافي المهم والذي أضفى عليها أهمية اقتصادية وتجارية مهمة جدا، ساعدتها على البقاء والاستمرار ورد أغلب المحاولات الموجه ضدها.

كان هدف قسطنطين الكبير من بناءها، هو الاستمرار لبقاء الإمبراطورية الاوروبية (روما الجديدة)، ولكن هذه المرة في الشرق بحلة جديدة ودين جديد وهي المسيحية وذلك باتخاذها دين رسمي للإمبراطورية الجديدة .

الكلمات المفتاحية: القسطنطينية، بيزنطة، الحضارة، روما الجديدة، المسيحية.

المقدمة

لقد ظلت القسطنطينية ألفًا ومئة عام عاصمة للإمبراطورية الرومانية الشرقية، وخط دفاع تجاه الشعوب غير المسيحية، وخلال هذه القرون ظهرت إحدى عشر سلالة، وهي إحدى عشرة أسرة كبيرة حكمت الإمبراطورية، كان بعضها حكيما وبعضها الآخر مفسدا.

كانت القسطنطينية إحدى المدن الأربع العظيمة في العالم التي تقف في تأثيرها على الفكر وطراز المعيشة على قدم مساواة مع أثينا وروما والقدس، إذ أسهمت عوامل عديدة في إعطاء القسطنطينية هذه الأهمية العظمى والذي تحدثنا عنها في بحثنا هذا المكون من عدة نقاط أساسية أردنا من خلالها أن نوضح الأهمية الجغرافية والثقافية والعسكرية والدينية، وذلك عن طريق بيان تاريخها وبنائها. معتمدين على العديد من المصادر المختصة بتاريخ القسطنطينية من جهة وبتاريخ الإمبراطورية البيزنطية من جهة أخري وهذه المصادر كانت أهمها كتب الرحالة والجغرافيين الذين زاروها واستطاعوا من خلال زيارتهم تكوين فكرة شاملة عن هذه المدينة وهذه الكتب أهمها كتاب الرحالة ابن بطوطة المسماة بـ(رحلة ابن بطوطة)، والرحالة اليهودي بنيامين التطيلي الذي وصف لنا القسطنطينية بأنه لا نظير لها في العالم من خلال كتابه رحلة بنيامين التطيلي إضافة إلى الجغرافيين أمثال الإدريسي وأبي الفداء والهروي والذين زاروها ما بين القرن ٦-٨ هـ ، وحصلنا على معلومات مهمة من خلال كتبهم.

إضافة إلى الاستفادة من المصادر التاريخية الأساسية مثل كتاب المسعودي وهو بعنوان التنبيه والإشراف وابن كثير وكتابه البداية والنهاية والمقريزي وكتابه (الخطط المقريزية) وشيخ الربوة وكتابه (نخبة الدهر) وآخرون غيرهم.

أما المراجع فتمثل بكتب المؤرخين الأوربيين والتي أغلبها ترجمت إلى العربية مثل كتاب الإمبراطورية البيزنطية لمؤرخه نورمان بنيز وكتاب(القسطنطينية المدينة التي اشتهاها العالم) لمؤرخه فيليب مانسيل، وغيرها من الكتب.

١- القسطنطينية (تاريخ نشؤها وتسمياتها)

حظيت القسطنطينية باهتمام المؤرخين والكتاب وكبار القادة السياسيين والشعراء، فكانت في البداية عبارة عن قرية صغيرة ثم غدت مستعمرة يونانية إبان القرن السابع قبل الميلاد (اومان، ١٠٥٣، ٢- ١٣؛ جوزيف ١٩٨٤، ٥- ٤٧- ٤٨).

يرجع اختيار موقعها إلى القائد البحري اليوناني (بيزنس) لذا عرفت باسم بيزنطة[١] نسبة إلى اسمه (جاويش، ١٨٨٧، ٥؛ فليب، ٢٠١٥، ٢٠٥؛ اومان، ١٩٥٣، ٣- ١٣؛ عبدالجواد، ٢٠٠٧، ٢٩١)، ثم غدت من المراكز التجارية المهمة نظرا لموقعها المهم الذي يربط بين البرين الأسيوي والأوربي، ثم جاء الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الأول بن سويزيوس [٢]، وأسماها قسطنطينية نسبة إلى اسمه، وذلك على غرار ما فعله رمليوس منشئ مدينة روما والأسكندر منشئ الأسكندرية (اومان ١٩٥٣، ١٥- ١٦؛ الشيخ ١٩٩٤، ١).

فأعاد تأسيسها من جديد وذلك سنة ٣٢٤م، فبناها ثم عمّرها لتكون عاصمة للإمبراطورية الشرقية، واستمرت بناؤها ست سنوات منذ بدء العمل فيها (المسعودي١٩٦٥، ١٢٦؛ الشيخ ١٩٩٤، ١٢، ٤٤، ١٩٦٨ Ostrogradsky).

والجدير بالإشارة فإن اسم القسطنطينية هي تسمية عربية (عبدالله ١٩٨٢، ٢٥٩)، فقد كان الروم يسمونها ب ((بولن)) أو ((استن بولن)) اليونانية والتي تعني دار الملك (المسعودي ١٩٦٥، ١٣٨؛ الشيخ الربوة ١٩٩٨، ٢٥٩)، فضلا عن تسميتها بالقسطنطينية، فقد سماها العرب بتسميات عدة فها اسم (الفروق) لأن فيها تفرقت القياصرة شرقاً وغرباً (جاويش ١٨٨٧، ٧)، فكان الشاعر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ/ ٨٤٥م) أول من ذكر هذا الاسم حين قال:

وقعة زعزعت مدينة قسطن طين حيت ارتخت بسور فروق

إذ ذكر الحموي أنه قصد بفروق القسطنطينية، وسوق فروق هو موضع بها (الحموي١٩٩٧، مج ٤، ٢٥٨)

وسميت أيضا(أستانة) ودار السعادة، (إسلام بول) و(دار الخلافة) و(الدار العالية) من قبل العثمانيين (٤٣، ١٩٨١ Yücebaş؛ فريدبيك، ١٠٤٣هـ، ١٦٤).

أما أسماء بيزنطة وروما الجديدة وقسطنطينو بولس ومانيطس قد أطلقت عليها من قبل اليونان (شيخ الربوة، ١٩٩٨: ١٤٣)، أما السلاف فقد أاطلقوا عليها اسم (زار غراء) اي مدينة الإمبراطور (لويس، ١٩٨٢: ١١).

لقد كان هدف قسطنطين من بنائها أو إنشائها هو بناء إمبراطورية لا سابقة لها، وبناء روما الجديدة، ليس من أجل التخلي عن روما القديمة، بل من أجل التأكيد على بقاء الإمبراطورية، لكن هذه المرة في الشرق واستمرارها ولكن بحلة جديدة وبدين جديد وهي المسيحية وموقع حيوي مهم بعيد عن كل الأخطار الخارجية نستدل على ذلك من خلال وصف رحالة القرون الوسطى لها أثناء رحلتهم إلى الإمبراطورية الشرقية الجديدة، منهم الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي الذي قال:" السكان اليونانيون أغنياء جدا بالذهب ويركبون الخيول ويبدون كالأمراء في أبهتهم وثراء القسطنطينية على هذا النحو لا نظير له في العالم" (التطيلي٢٠٠٢: ٣٣).

أما الرحالة ابن بطوطة فقد قال عنها:"وهي متناهية في الكبر منقسمة قسمين، بينهما نهر عظيم المد والجزر على شكل وادي سلا من بلاد المغرب... أحد القسمين يسمى اسطنبول(اصطنبول)، وهو بالعدوة الشرقية من النهر وفيه سكن السلطان وأرباب دولته وسائر الناس، وأسواقه وشوارعه مفروشة بالصفاح المتسعة، واهل كل صناعة على حده لا يشاركهم سواهم، وعلى كل سوق أبواب تسد عليه بالليل..." (ابن بطوطة٢٠١١: ٢٠٣).

كما زارها الرحالة العربي أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي، وقد قدم لنا من خلال كتابه وصفا موجزا لأهم آثار العاصمة وهو يخص بالذكر بعض الآثار التي لها علاقة بالإسلام فقال: "في جانب سورها قبر أبي أيوب الأنصاري[٣] صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبها الجامع الذي بناه مسلمة بن عبد الملك والتابعون، وبه قبر رجل من ولد الحسين رضي الله عنه". كما أسهب في وصفه قائلا:"وهذه المدينة أكبر من اسمها نسأل الله تعالى أن يجعلها دار الإسلام بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى" (التطيلي٢٠٠٢: ٤٨- ٤٩). حظيت القسطنطينية باهتمام الجغرافيين أيضا، نستدل على ذلك من خلال زيارة عدد منهم إليها أمثال الإدريسي المغربى (١٩٨٩: ج٣، ٦٠٢) والذي زارها في القرن ٦ هـ/ ١٢ م، كما زارها أبو الفداء في القرن ٨ هـ/ ١٤ م، وشاهد آثار اضمحلال العاصمة(د.ت: ٢١٣). لقد تحدث قسم من هؤلاء الجغرافيين عن حجم ومساحة القسطنطينية، فمثلا يقول الحميري عنها بأن طولها ست وخمسون درجة، وعشرون دقيقة وعرضها ثلاث وأربعون درجة، وقد قيل أنه لا يوجد مثلها في الكبر قطر إلى روما (الحميري١٩٨٠: ١٩٨). أما ابن رسته فقد وصفها وصفا دقيقا بقوله : "إنها مدينة عظيمة تقدر باثني عشر فرسخا والفرسخ على ما ذكر لي ميل ونصف ويحيط البحر مما يلي الشرق منها وغربيها الصحراء مما يؤخذ منه إلى الروحية" وكما يذكر:"ثلاث نواح منها في البحر العظيم مما يلي القبلة والمشرق والمغرب والناحية الرابعة من البر" (ابن رسته١٨٩١: ١١٩- ١٣٠- ١٣٢).

أما المقدسي من جانبه فقد وصفها بأن مساحتها تماثل مساحة البصرة أو أصغر قليلا، وإن بناءها من الحجر، وهي محصنة منيعة ولها أبواب متقابلة، ولها من الأبواب مئة، أكبرها باب الذهب القريب من بحر مرمرة (المقدسي١٩٠٩: ١٢٥).

اما ياقوت الحموي فقد بين حدود بلاد الروم بتفصيل كبير بقوله: "اما حدود الروم فمشارقهم وشمالهم الترك والخزر وكانت الرقة والشامات كلها تعد في حدود الروم ايام الاكاسرة وكانت دار الملك انطاكية إلى ان نفاهم المسلمون إلى اقصى بلادهم" (الحموي د. ت، ج٤، ٤٤٤- ٤٤٥).

هنا سؤال يطرح نفسه لماذا نالت هذه المدينة الاهتمام والنصيب الواسع في الدراسات التاريخية والسياسية والجغرافية والأدبية؟

حتما هناك أسس قوية قامت على أساسها إمبراطورية كبيرة كهذه دامت لأكثر من ألف ومئة سنة، واجهت من خلالها أخطارا كبيرة أمثال الفرس والقبائل البربرية، ومن بعدها بدء محأولات المسلمين لغرض فتحها لأسباب دينية واقتصادية وسياسية

٢- الأهمية الجغرافية:

نظراً لأهمية القسطنطينية ارتأينا هنا الحديث عنها وكما أسلفنا فإنها تحولت من قرية إلى واحدة من أكبر وأشهر المدن على مدى التاريخ وذلك من النواحي الدينية والجغرافية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية أدت إلى أن تكون تلك الرقعة الجغرافية متلاحقة وممتزجة مع الحضارة اليونانية والديانة النصرانية بمفاهيم الرومان السياسية فأنجبت الإمبراطورية البيزنطينية التي شاع ذكرها لقرون عديدة.

نشأت القسطنطينية وكان موقعها قد خلق لكي يكون مصب الثروة من أربعة أركان الكرة الأرضية، فمن الناحية الجغرافية والذي امتاز بأهميته، لكونه يقع عند التقاء قارتي آسيا وأوروبا وإحاطتها بالمياه من ثلاث جهات (الدوري ٢٠١٧ ١٣-١٥)فمن الشمال مياه القرن الذهبي(Golden Horn) الذي هيا له مرفأ طبيعيا يمكن لأي أسطول يراد له العبور ان يرسو فيه، لميزته المهمة والتي تتمثل بندرة عمليات المد والجزر فيه (شيخ الربوة ١٩٩٨:١٤٣؛ عمران ٢٠٠٢: ٢٩)، أما من الشرق يوجد البسفور ذلك الممر المائي الضيق الذي يفصل أوروبا عن آسيا (جاويش ١٨٨٧: ٢٥؛ مانسيل ٢٠١٥: ٢٥)، وإلى الجنوب بحر مرمرة، ذلك البحر الداخلي الصغير الذي يربط بين بحر إيجة والبحر الأسود (جاويش ١٨٨٧: ٢٥؛ عمران ٢٠٠٢: ٢٨)، فلم يكن بالإمكان الوصول إليها برا إلا من جهة واحدة (العريني ١٩٨٢: ٣٠؛ الأعظمي د. ت: ٢٣) ، مما جعلتها آمنة من الأخطار الخارجية والمتمثلة بخطرين الأول الجبهة الغربية، جبهة الدانوب والمتمثلة بالقبائل البربرية، أما الثاني الجبهة الشرقية والمتمثلة في القوات الفارسية (جونز ٢٠٠٣: ١٥)، فهي تتوسط الجبهتين لذا أصبح قاعدة تعبأ فيها الجيوش المرسلة إلى تلك الجبهتين وترسل منها الأساطيل التي تجوب (بحر الروم) البحر المتوسط والذي قال عنه ابن حوقل:"و ليس في البحار الممر حاشية من هذا البحر" (١٩٧٩: ١٨٥)، كما وصفه الاصطخري بقوله: "وأما بحر الروم فإنه خليج من البحر المحيط بين الأندلس وبين البصرة من بلاد طنجة وبين طنجة وبين جزيرة جبل طارق من أرض الاندلس عرضه اثنا عشر ميلا ثم يتسع ويعرض فيمتد على سواحل المغرب فيما يلي شرقي هذا البحر حتي ينتهي إلى أرض مصر..." (الاصطخري١٩٦١: ٥٠- ٥١).

فعد هذا البحر من أكبر البحار الداخلية التي تجري بين الأمم، ومن هذا جاءت بالمتوسط لكونه يمثل دور الوسيط بين إقليمين متقابلين(الاصطخري١٩٦١: ١٨)، اذ كان يضم مجموعة من الجزر التي تمتعت بأهمية سوقيه وتعبوية كان لها الدور الكبير في مجرى الصدام المسلح بين المسلمين والبيزنطيين، لاسيما جزر قبرص وارواد ورودس واقريطش(كريت) وغيرها (البلاذري ١٩٩١: ص٢٣٣)، الأمر الذي ساعده لكي يكون وسيلة اتصال بالغة الخطورة ليس في حسم الصراعات العسكرية فحسب وإنما في نقل التجارة والفكر والثقافة أيضا.

إذن فإن موقعها الجغرافي جعلتها آمنة من الأخطار الخارجية، إلى حد ما وفي نفس الوقت أصبحت مهيمنة على التجارة، بوصفها تقع بين البحرين الأسود والمتوسط وتحكمها بالطرق المؤدية إلى روسيا وتجارتها وتحديد مساراتها ومراقبتها (الاصطخري ١٩٦١: ٢٧)، ولإشرافها على مضيقين البوسفور والدردنيل، فاذا ما تم إغلاقها أصبح العبور فيها مستحيلا (عاشور ١٩٨٥ : ٤٢).

ولكون الحياة تدفق إليها من مضيق البسفور نحو الشمال والجنوب فقد منح ذلك المدينة الجو الصحي، نتيجة تجدد الهواء (الطحاوي، ١٩٦٠: ١٩٦) . وعن المحلات التجارية المتمثلة بالأسواق، فإن أهل كل صنعة كانوا يتجمعون في جهة معينة، فنجد صاغة الذهب في جهة، وصناع الاثاث في أخرى وباعة الاقمشة في ناصية وحدهم وهكذا ... (ابن بطوطة ٢٠١١، ٢٥١؛ وليد ٢٠١٥، ٥٧) ولكون الحياة تدفق إليها من مضيق البسفور نحو الشمال والجنوب فقد منح ذلك المدينة الجو الصحي، نتيجة تجدد الهواء (الطحاوي ١٩٩٨، ٢٧؛ لويس ١٩٦٠، ١٩٦) وكما عرفت بخصوبة تربتها وتنوع أراضيها الزراعية، وإلى جانب إحاطتها بالحياة الغنية بالثروة السمكية، فأصبح لديها اكتفاء في مصادر الغذاء (عبدالجواد ٢٠٠٧، ٢٩٣)

٣- الأهمية الثقافية:

وأضفى الموقع الجغرافي أهمية ثقافيه كبيرة لها، ذلك بحكم قربها من المراكز المهمة للثقافة منها الهيلينية (Ostrogorsk,1986: 45)، حتى قيل عنها:" لو كانت الدنيا مملكة واحدة لكانت القسطنطينية أصلح المدن لتكون عاصمتها" (العمري ١٤٢١هـ: ٣٥٥- ٣٢٦).

لقد سعى قسطنطين إلى تشجيع أفراد الشعب الروماني إلى ترك مساكنهم والاستقرار في عاصمته بكل الوسائل، فأغراهم بنية الدولة توزيع ثمانين ألف حصة خبز يوميا فيها، والعمل على حمايتهم من المتنفذين والأغنياء، ومنحهم أراضي مملوكة للدولة مجانا (رستم ١٩٨٨: ٥٤؛ فرج، ١٩٨٢: ١٥)، لذلك قدم إليها الناس من كل صوب، فاجتمع فيها: الإغريق والأسيويون، والروس، والبلغار، والأوروبيون، والصقالبة، ومن مختلف أنحاء أوروبا (عبدالجواد ٢٠٠٧: ٢٩٧)، كما دعا عددا كبيرا من رجال مجلس الشيوخ في روما القديمة، وكثيرا من أغنياء بلاد اليونان ليقيموا فيها وأسند إليهم مناصب في مجلس الشيوخ (اومان ١٩٥٣: ١٩) ولهذا وضع في حسابه الزيادة المضطردة للسكان من خلال تزويدهم بالمؤن والحبوب (جونز ٢٠٠٣: ١٧).

وصل عدد سكانها في العصور الوسطى ما يتراوح بين ربع المليون والمليون نسمة، توزعوا على أربع عشرة منطقة (شيخ الربوة ١٩٩٨: ٢٤,جاويش ١٨٨٧: ٢٤؛ جونز ٢٠٠٣: ١٧؛)، ولكي يحقق أسباب الراحة للسكان، ضمت القسطنطينية العديد من الأديرة التي كانت تنفق عليها من أموال الصدقات والأوقاف والمدارس والمسارح والحمامات والمحاكم والقصور والحصون والقلاع والسجون وخزانات المياه (ابن بطوطة ٢٠١١: ٣٥١؛ البكري ١٩٨٢: ج٣، ١٠٨٧؛ شيخ الربوة ١٩٩٨: ٢٢٧؛ Bury, 1889: 73).

فأصبحت القسطنطينية متحفا حقيقيا حافلا بالروائع اليونانية والهلنستية بعد أن سلبت من العالم الروماني أغلب كنوزه الفنية (بينز ١٩٥٠: ١٣).

٤.الأهمية العسكرية:

الموقع الجغرافي أضفى على القسطنطينية أهمية أخرى كبيره وهي الأهمية العسكرية والتي تتمثل به أسوارها وحصونها القوية، فقد كانت محاطة بأسوار هي الأعظم والأفخم في أوروبا، بنيت بين العامين(٤١٢و٤٢٢م)، امتدت أسوار المدينة بالخندق المائي وبجوارها فتحات إطلاق النار، والأبراج المائة والاثنين والتسعين التي تتخللها وسمكها الضخم (جاويش ١٨٨٧: ٣١؛ مانسيل ٢٠١٥: ٢٦)، إذا كانت ترتفع وتنحدر وفقا لتفاوت سطح الأرض، وامتدت أيضا على طول بحر مرمرة والقرن الذهبي لتطوق المدينة بالكامل (القرماني ١٩٩٢: ٣٦٨) .

أما الزهري فقد بالغ وصفه لأسوار القسطنطينية حيث قال بأن لها سبعة أسوار تدور ببعضها على شكل حلزوني يجعل من يسير بينها يتمير في مدخلها من مخرجها (الزهري ٧٣١٩٠٩- ٧٤). أما القزويني فقد رسم صورة لهذا الوصف (القزويني د.ت: ٦٠٤؛ وليد ٢٠١٥: ٨٨)

واعتمد الجيش البيزنطي على صنفي المشاة الرجالة والخيالة الفرسان في حروبه وكانوا يقسمون على فرق خفيفة السلاح وأخرى ثقيلة السلاح (بينز ١٩٥٠: ٨٦-٨٥)

أما عن رتب الجيش، فقد ذكرت المصادر الجغرافية رتبة الطرماخ Turmarch (أمر الكتيبة اوالناهية)، والذي يقود خمسة الاف رجل، ويأتي بعده الطرنجار Drangarius (قائد السريه، ويليه القومس Comes) (قائد الفصيلة (ابن خرداذبه ١٩٨٨، ٩٩؛ رانسيمان ١٩٩٧، ١٦٤؛ وليد ٢٠١٥، ٥٥- ٥٦)

أما الفرسان فينقسمون إلى أربعة أقسام رئيسية وهي: الاسخلارية، والديابة ووحدة الجندار ثيموس أي فرق المراقبة والهبكاناتي، يقود كل فرقة قائد برتبة دوحستق اي ضابط القصر، أما عدد افراد كل فرقة فيقدر بأربعة آلاف جندي (رانسيمان ١٩٩٧، ١٦٤- ١٦٥؛ العريني ١٩٨٢، ٣٦٧)، أما المشاة فينقسمون إلى فرقتين، كل فرقة تتكون من أربعة آلاف رجل (وليد ٢٠١٥، ٥٦)

٥.الأهمية الدينية:

فيما يخص الناحية الدينية للقسطنطينية نرى أن بيزنطا اتخذت اسما مسيحيا، وذلك بعدما أكمل قسطنطين الكبير بناء مدينته، حيث توج قيصرا لها في نوفمبر من عام ٣٢٤م(جونز ٢٠٠٣: ١٥)، وفي ١١مايو من سنة٣٣٠ م (Ostrogorsky, 1986: 44؛ عمران ٢٠٠٠: ١٢؛ اومان١٩٥٣: ١٩) احتفل احتفالا كبيرا لإكمال مهمته ذلك بعد أن اتخذ المركزية في الحكم، وفي فبراير عام ٣١٣ م أصدر مرسوم ميلان (بينز ١٩٥٠: ٨)، والذي فيه نظم جميع أمور إمبراطوريته من خلالها، وذلك من جميع النواحي الادارية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والدينية، وتعتبر الأخيرة هي الأمر الأكبر أهمية في المرسوم، وذلك لأنه أعلن المسيحية كدين رسمي في الإمبراطورية (المسعودي ١٩٦٥, ١٢٤,سيرهنك ١٣٤١هـ: ١٢٢)، وبذلك قد أمد النصرانية لأول مرة بعاصمة تنطلق منها المسيحية إلى الجهات كافة، لاسيما وإن روما القديمة كانت لاتزال حصن الديانة الوثنية (يوسف ١٩٨٤: ٥١)، لذلك حملت القسطنطينية طابعا مسيحيا منذ نشأتها فأصبحت الموطن الأول للمسيحية (ابن بطوطة ٢٠١١: ٣٣٤- ٣٣٥).

وعلى إثره زاد تشييد الكنائس فيها، فيذكر المؤرخ المسلم ابن كثير:" أن قسطنطين بنى فيها أكثر من اثنتي عشرة كنيسه"(ابن كثير١٩٩٧ ج١١: ٥٦٣) مثل كنيسة القديسة ايرين وكنيسة اكاكيوس وموكيوس وبطرس وبولص والحواريين إضافة إلى كنيسة أياصوفيا ذات الثلاثة عشر بابا (ابن بطوطة ٢٠١١: ٣٥١- ٣٥٣- ٢٣٢؛ شيح الربوة ١٩٩٨: ٢٢٧)، وكنيسة الرسل التي تحتوي قبر قسطنطين الكبير وأمه هيلانه وأباطرة آخرين (اومان ١٩٥٣: ٢٤) احتفظت تلك الكنائس بداخلها الكثير من الآثار والنفائس المسيحية، يبدو أن السبب في ذلك هو لتخليصها من العقدة التي عانت منهم، وهو افتقارها لمثل هذه الآثار، كونها لم تحظ بزيارة أحد الرسل لها، والاستشهاد بقربها (غنيم ١٩٨٢: ٨٤).

ومع ذلك نرى أن قسطنطين الكبير قد أرسل إلى حكام الولايات يأمرهم بأن يسمحوا لجميع الطوائف دون تمييز أن يعتنقوا المذهب الذي يريدونه وأن يمارسوا الطقوس الدينية الخاصة بهم حتى اعتناقه المسيحية، إلا أن طبيعة معتقده لايزال موضع جدل

كبير(الصوري ١٩٩٠: ١٣؛ عاشور ١٩٨٥: ٥- ٥١)، وذلك لأنه رغم إعلانه المسيحية كديانة رسمية للدولة وتحريمه لفترة ممارسة الطقوس الوثنية بعد مرسوم ميلان، إلا أنه لانعرف كيف نفسر لإنشائه معابد وثنية جديدة في تلك الفترة، من جهة، ومن جهة أخرى بناءه لتمثال ضخم يمثل راس الإمبراطور تاج هيليوس(اله الشمس) مع حمله لملامح قسطنطين، لكون أن إله الشمس هو إله الأباطرة العظام، فسّر البعض ذلك بأنه أراد أن يعلن لشعبه أنه لم يزل بعد تنصره يعترف بفضل أجداده (بينز ١٩٥٠: ١٠- ١١).

إن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على مدى فائدة الدبلوماسية التي اعتمدها قسطنطين في إدارته لدولته في كسب الناس من حوله وتقوية إمبراطوريته من خلالها، ذلك من مختلف النواحي الدينية والعسكرية، فضم بلاطه الكهنة الوثنيين والقساوسة المسيحيين وذلك بتقسيم الوظائف في ما بينهم (عاشور ١٩٨٥: ٥٥).

إذ كان لابد أن يستخدم أباطرة هذه الدولة سلاحا آخر يعينهم له تأثيره البعيد، إذ برعت فيه واعتبرته مقدسا ذلك من خلال وصايا الأباطرة لأبنائهم، فبدبلوماسيتها استطاعت أن تبقى لقرون عديدة وتحمي نفسها من الأخطار الداخلية والخارجية.

هناك أهمية دينيه أخرى للقسطنطينية لابد من الإشارة إليها والتي جعلتها موضع اهتمام المسلمين في فتوحاتهم بدرجة كبيرة، وهو ورود ذكرها في القران الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، إن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على مدى قدسية هذه المدينة وأهميتها للمسلمين ، والذي سوف ندخل في تفاصيلها في المبحث الثاني من هذا الفصل.

ونظرا لأهمية القسطنطينية من كافة النواحي فقد أشاد بها الكثيرون وتغنى الشعراء لها، فقد ذكر نابليون بونابرت بها "إمبراطورية العالم" (مانسيل ٢٠١٥: ٢٢)، كما قال عنها "لو كانت الدنيا مملكة واحدة لكانت القسطنطينية أصلح المدن لتكون عاصمة لها" (الرشيدي ١٩٦٩: ٥٤؛ الطيار ٢٠٠٢: ١٣).

وهي المدينة الأكبر والأكثر ثراء في أوروبا كلها ومن دون منازع على مدار معظم تاريخها(مانسيل ٢٠١٥: ٩)، وهي المدينة التي اشتهاها العالم، والمدينة التي جمعت أمنيات الدنيا، على حسب قول قسطنطين الرودسي[٤]، والجارة الكبرى للمسلمين في تاريخهم المديد وعلاقاتهم الحربية والاقتصادية والثقافية هذه العلاقة طالت الشعر وتعد قصيدة الشاعر البحتري(٢٠٤هـ-٨٢١ م - ٢٨٤هـ -٨٩٨م) في فتح الخليفة العباسي المعتصم بالله(١٧٩-٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤٢ م)العمورية[٥]، واحدة من أجمل القصائد بقوله"

السيف أصدق إنباء من الكتب في حدّه الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب"(اوس د.ت: ٧؛ البحتري، ٢٠٠٩)

أما أبو فراس الحمداني(٩٣٢-٩٦٨م) فقد نظم بعد وقوعه في الأسر عند الروم فقال:

"أقول وقد تاهت بقربي حمامة أيا جارتا هل تشعرين بحالي" (عاملى ١٩٤٥: ٨٣)

وهنا ذكرنا الشعر لكي نوضح بأن الشعوب على رغم من الحروب والمآسي فهم يتلاقون ويجدون أن ما يجمعهم أكثر مما يفرقهم، وبأن هناك إرثا بشريا من العلوم والآداب هو الأبقى.

الاستنتاج

مع نهاية البحث توصلنا إلى جملة من الاستنتاجات منها:

١. اعتبرت القسطنطينية من المدن الاستراتيجية المهمة وعلى مدى التاريخ وذلك نظرا لمكانتها المهمة دينيا وسياسيا واقتصاديا وجغرافيا واجتماعيا، لهذا اعتبرت إمبراطورة العالم والأكبر والأكثر ثراء في أوربا كلها خلال العصور الوسطى.

٢. الهدف الأساسي لقسطنطين الكبير من بناء القسطنطينية كان من أجل الإبقاء على الإمبراطورية الأوربية، أي بناء روما جديدة ولكن هذه المرة في الشرق وبحلة جديدة، مستفيدا من الموقع الاستراتيجي التي تمتعت بها القسطنطينية، ومن المسيحية التي أعلنها المدينة كدين رسمي للبلاد، وبذلك قد أمد النصرانية بعاصمة تنطلق منها المسيحية إلى الجهات كافة، وبذلك أصبحت القسطنطينية الموطن الأول للمسيحية، خاصة بعدما بنى فيها الكنائس الشهيرة والتي لاتزال آثارها باقية لحد الآن مثل كنيسة أياصوفيا وغيرها، وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على مدى السياسة الدبلوماسية التي اتبعها قسطنطين الكبير في إدارته لهذه المدينة.

٣. حظيت هذه المدينة بنصيب وافر من الأوصاف والذكر من قبل الرحالة العرب أمثال ابن بطوطة والهروي وغيره، والجغرافيين أمثال الإدريسي وابن حوقل وأبو الفداء وغيره، إضافة إلى المؤرخين والقادة السياسيين والكتاب والشعراء قديما وحديثا.

٤. الأسس القوية التي قامت على أساسها القسطنطينية قد جعلتها تدوم لأكثر من ألف عام متحدية كافة الأخطار التي واجهتها أمثال الفرس والبربر وفيما بعد المسلمين الذين نجحوا في النهاية من فتحها على يد العثمانيين .

٥. رغم الأهميات الكبيرة التي تمتعت بها القسطنطينية من جميع النواحي سواء الجغرافية أو الاقتصادية أو السياسية أو الثقافية، إلا أنه تبقى الأهمية الدينية لها هي الأهم، لكونها كانت مركز المسيحية من جهة وورود ذكرها في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة التي نبأت بفتحها على يد المسلمين.

Description of the city of Constantinople and its importance through the books of travelers and townspeople in the Middle Ages

Iman Talaat Abdalrazak[1] - Nishtiman Bashir[2]

[1+2] Departmment of History, College of Arts, University of Salahaddin, Erbil, Kurdistan Region, Iraq.

ABSTRACT

Constantinople is the city that the Noble Messenger may God's prayers and peace is upon him, announced his conquest by saying: "To conquer Constantinople, let us be the emir, its ruler, and the best army, that army. And the poets pay attention to it and write about it, as if this city was created to be a great empire that lasted for more than a thousand years. What helped it to survive is its huge building built by Emperor Constantine the Great in 324 AD to be the capital of the Eastern Byzantine Empire. This huge building is represented in its high fortified walls and its huge and remnant churches Now like the Hagia Sophia Church, and making it one of the most important cultural centers and a symbol of ancient civilization in addition to choosing this important geographical location, which gave it a very important economic and commercial importance, helped it to survive and continue and most of the attempts directed against it.

Constantine's great goal was to build it, to continue the survival of the European Empire (New Rome), but this time in the East with a new look and a new religion, which is Christianity by adopting the official religion of the new empire.

Keywords: Constantinople, Byzantine, civilization, New Rome, Christianity

المصادر

ابن العبري: (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، (١٤٠٣هـ)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: الاب انطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، الحازمية.

ابن بطوطة: ابو عبدالله محمد بن ابراهيم اللواتي الملقب بشمس الدين(ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، (٢٠١١)، رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت.

ابن حوقل: ابو القاسم النصيبي(٣٦٧هـ)، (١٩٧٩)، صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت.

ابن خرداذبة: ابو القاسم عبدالله (ت ٣٠٠)، (١٩٨٨)، المسالك والممالك، تحقيق: محمد مخزوم، دار احياء التراث العربي، بيروت.

ابن رسته: ابي على احمد بن عمر(ت ٣٣٢هـ/ ٩٤٤م)، (١٨٩١)، الاعلاق النفيسة، مطبعة بريل، لندن.

ابن كثير ،عمادالدين اسماعيل بن عمر(٧٧٤هـ/١٣٤٣م)، (١٩٩٧)، البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، الجيزة.

ابي الفداء: عمادالدين اسماعيل(٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م)، (د.ت)، المختصر في اخبار البشر، دار المعرفة، بيروت.

الادريسي: محمد بن ادريس(ت٥٦٠هـ/١١٦٤م)، (١٩٨٩)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، ط١، بيروت.

الاصطخري: ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي(ت ٣٤١هـ/٩٥٢م)، (١٩٦١)، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر، مطابع دار القلم، القاهرة.

البحتري: ابو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيي التنوخي الطائي (ت٢٨٤)، (٢٠٠٩)، ديوان البحتري ، تحقيق: حسن كامل الصيرفي ، ديوان المعارف، مصر.

البكري: عبدالله(ت٤٧٨هـ/١٠٩٢م)، (١٩٨٣)، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفي السقا، عالم الكتاب،ط٣، بيروت.

البلاذري.احمد بن يحيى (٢٧٩هـ/٨٩٢م)، (١٩٩١)، فتوح البلدان،تعليق:رضوان محمد رضوان،دار الكتب العلمية ،د،ط بيروت.

التطيلي: بنيامين (٢٠٠٢)، رحلة بنيامين التطليلي الرحلة الرابي بنيامين بن الرابي يونة التطيلي النباري الأسباني اليهودي(ت٥٦٨م)، المجمع الثقافي، ط١، أبوظبي.

الحميري: ابي عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم(ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م)، (١٩٨٠)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط٢، القاهرة .

الصوري: وليم (١٩٩٠)، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، دمشق.

العسقلاني، ابن حجر (٢٠٠٨)، الإصابة في تمييز الصحابة، تح عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات، الفاهرة.

القرماني: احمد (١٩٩٢)، اخبار الدول وآثار الأول، دراسة وتحقيق: فهمي سعد احمد حطيط، عالم الكتب، ط١، (د.م).

القزويني، زكريا (د.ت)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت.

المسعودي: على بن الحسين(ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، (١٩٦٥)، التنبيه والاشراف، مكتبة خياط، (د.ط)، بيروت.

المقدسي: محمد بن احمد الشاري(ت٣٩٠هـ/٩٩٩م)، (١٩٠٩)، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط ٢، مطبعة ليدن.

المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي(٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، (١٩٩٨)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، وضع حواشي:خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت.

الهروري: ابي الحسن على بن ابي بكر(ت ٦١١هـ)، (٢٠٠٢)، الاشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق، د.علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.

بينز: نورمان (١٩٥٠)، الإمبراطورية البيزنطية، تعريب:دكتور حسين مؤنس، محمود يوسف زايد، مطبعة بلدية التأليف والترجمة، القاهرة.

سيرهنك: الميرلاي اسماعيل (١٣٤٢هـ)، حقائق الاخبار عن دول البحار، المطبعة الأميرية، ط١، بولاق، مصر.

شيخ الربوة: محمد بن ابي طالب (٧٢٧هـ)، (١٩٩٨)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار احياء التراث العربي،ط٢،د.م.

عاملي: محسن امين الحسيني (١٩٤٥)، ابو فراس الحمداني، مطبعة امية، ط٢، دمشق.

فريد بيك: محمد (ت ٩١١)، (١٤٠٣هـ)، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط٢، تحقيق: د. احسان جقي، دار انفائس، بيروت.

ياقوت الحموي: شهاب الدين(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، (د. ت)، معجم البلدان، دار احياء التراث العربي، بيروت.

الاعظمي: عواد مجيد (د.ت)، الجذور التاريخية في تطلعات العرب المسلمين لفتح القسطنطينية في عصر صدر الإسلام، بغداد.

الدوري: غازي محيد موسى (٢٠١٧)، ...القسطنطينية ومحأولات فتحها في العصر الاموي، دار دجلة ناشرون، بغداد.

الرشيدي: سالم (١٩٦٩)، محمد الفاتح، ط٢، جدة.

الشيخ، محمد مرسي (١٩٩٤)، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

الصوري: وليم (١٩٩٠)، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة:سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، دمشق.

الطحاوي: حاتم (١٩٩٨)، بيزنطا والمدن الايطالية، عين للدراسات والبحوث، ط١، د.م.

الطيار: فهد بن عايش (٢٠٠٢)، اصدارات النادي الادبي بمنطقة تبوك، ط١، د.م.

العريني: سيد الباز (١٩٨٢)، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، ط١، بيروت.

العمري: عبدالعزيز (١٤٢١هـ)، الفتوح الإسلامية عبر العصور، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، ط٣، المملكة السعودية.

اوس، حبيب ابن (د.ت)، ديوان أبي تمام الطائي، فسر الفاظه: محى الدين ضباط، طبع غباظرة، محمد جمال، المعارف العمومية الجليلة.

اومان: تشارلز (١٩٥٣)، الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة: مصطفي بكر دار الفكر العربي، مصر.

جاويش: سليمان (١٨٨٧)، التحفة السنية في فتح القسطنطينية، دار صادر، بيروت.

جونز، ج.ز (٢٠٠٣)، الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة، دراسة وترجمة وتعليق: د.حاتم الطحاوي، عين للدراسات والبحوث، ط١، د.م.

رستم: اسد (١٩٨٨)، الروم في سياستهم وحضارتهم، منشورات المكتبة البوليسية، ط٢، بيروت..

عاشور: عبدالفتاح (١٩٨٥)، تاريخ أوروبا في العصور الوسطي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٨، (د.م).

عمران: محمود سعيد (٢٠٠٢)، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، السويس..

غنيم: اسمت (١٩٨٢)، الحملة الصليبية الرابعة ومسؤلية انحرافها ضد القسطنطينية، دار المعارف، (د.ط)، قاهرة.

فازيليف (د.ت)، العرب والروم، ترجمة: محمد عبدالهادي شعيرة، مراجعة: فؤاد حسين علي، دار الفكر العربي، (د.ط)، (د.م)..

فرج: وسام عبدالعزيز (١٩٨٢)، دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، مطبعة مصنع اسكندرية(د.ط)، (د.م).

لويس: ارشيبالد (١٩٦٠)، القوي البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: احمد محمد عيسي، مراجعة: محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، (د.ط)، القاهرة.

لويس: برنارد (١٩٨٢)، اسطنبول حضارة إسلامية، ترجمة: سيد رضوان علي، الدار السعودية للنشر، ط٢، جدة .

مانسيل: فيليب (٢٠١٥)، القسطنطينية المدينة التي اشتهاها العالم، ترجمة: مصطفي محمد قاسم، عالم المعرفة، الكويت .

نيكول: دونالد (٢٠٠٣)، معجم التراجم البيزنطية، ترجمة: د.حسن الحبشي، الهيئة المصرية للكتاب، مصر.

وليد: بودانة (٢٠١٥)، مدينة القسطنطينية من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين العرب الفترة مابين القرت الثالث إلى فتصف القرن التاسع الهجري (٢٠١٥)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر- ابو القاسم سعد الله، الجزائر.

يوسف: جوزيف (١٩٨٤)، تاريخ الدولة البيزنطية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية.

عبدالجواد: ليلي (٢٠٠٧)، مملكة القسطنطينية في مسالك الابصار وممالك الامصار للعمري، مجلة مؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ع ١٥.

الكتب الانجليزية

Bury J. B (1889), History of the Later Roman Empire From Arcadius to Irene(395-800) London 1889.

Hilmi, yücebaş (1981), Faith sultan Mehmet, kültür dünyesi, mem leket yayinlari, Istanbul, 1981.

KRUMBACH :Geschicht der. By zantin ischen literatar.

Ostrogradsky, G. (1968), History of the Byzantina stat, Trans From German by Joan.(Hassey, Second edition, T. Jperss, London.

Shepard, jonathan (2008), The Cambridge History of the Byzantine Empire, Cambridge University Press, United States of America.

الهوامش:

(١) بيزنطة: وهي مستوطنة أقامها مجموعة من سكان مدينة ميجارا الإغريقية، نشأت قبل التاريخ المسيحي بمئتي عام وألف وكان مصيرها مرتبطا بمصير أثينا، ثم تحولت لجانب روما، (اومان، ١٩٥٣: ٣ ١٣؛ عبدالجواد، ٢٠٠٧: ١٩١)

(٢) قسطنطين: أسمه الكامل گايوس فلافيوس اورليوس قسطنطينوس وهو إمبراطور روماني عرف باسم قسطنطين العظيم، ولد في نيش من أعمال يوغسلافياحوالي ٢٨٠م، نشأ في نيقوصيديا في حاشية الإمبراطور دقلديانوس والتحق بالجيش في(١٥) من عمره، عرف بالشجاعة لذا رقي إلى رتبة القائد، كما كان واسع الخلق، رحب الصدر، شديد الغضب، توفي بالحمى، فحنط جسمه ودفن في كنيسة الرسل. ينظر: (نيكول، ٢٠٠٣: ١٣٠- ١٣٢)

(٣) ابو ايوب الانصاري خالد بن زيد بن كليب اسلم قبل الهجرة وروى الاحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم استشهد أثناء حصار المسلمين للقسطنطينية في حملة يزيد بن معاوية ينظر : (العسقلاني ,٢٠٠٨,ج ٣, ١٤٣)

(٤) قسطنطين الرودسي: وهو شاعر بيزنطي عاش في القرن العاشر الميلادي وهو مصنف مجموعه من الاشعارالقصيرة تسمى: Anthologie Palatina وفيها قصائد لشعراء وثنيين ومسيحيين، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن قسطنطين هذا هو نفسه المعروف بقسطنطين خيفالاس ينظر: (KRUMBACH, 1479: 787؛ بنيز، ١٩٥٠: ١)

(٥) العمورية: وهي مدن الإمبراطورية البيزنطية، لأنها موطن للأسرة الحاكمة في قسطنطينية، إذ تقع في غرب آسيا الصغرى، تأسست في الفترة الهيلينيه، (سيرهنك، ١٣٤٣هـ: ١٤٢؛ فازيليف، د.ت: ١٢٩- ١٤٤- ١٦٧، عاشور، ١٩٨٥: ٤٠٢)

الملاحق

رقم (١)

الاسر الحاكمة في عهد قسطنطين

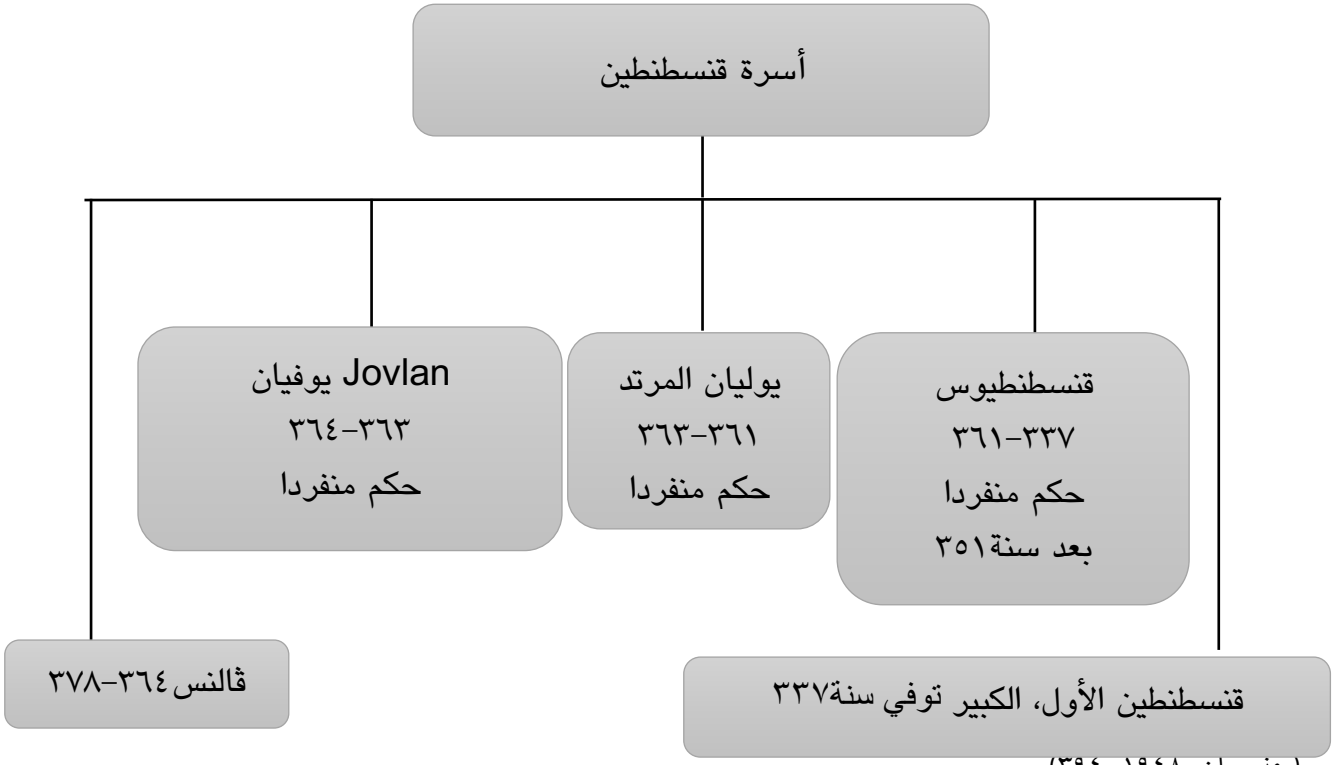

(رونسمان، ١٩٤٨، ٣٩٤)

رقم (٢)

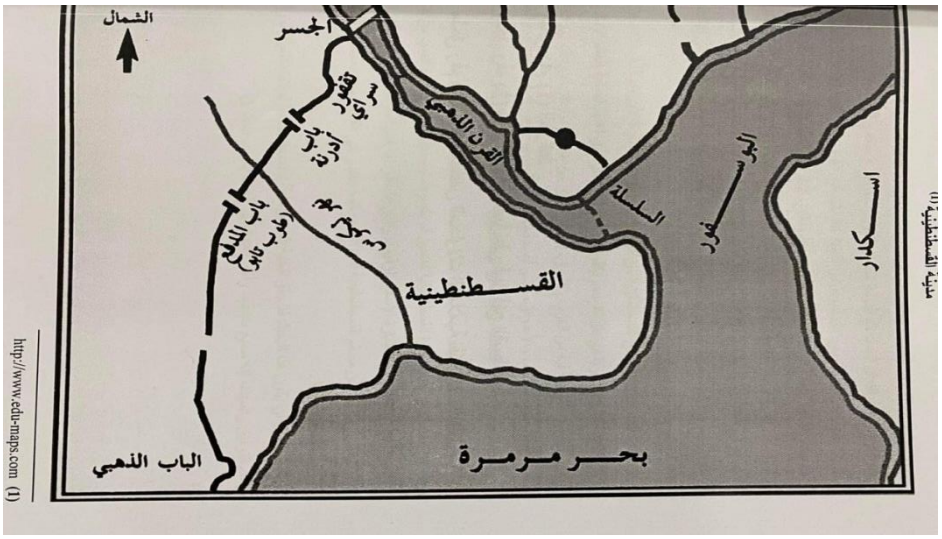

رقم (٣)

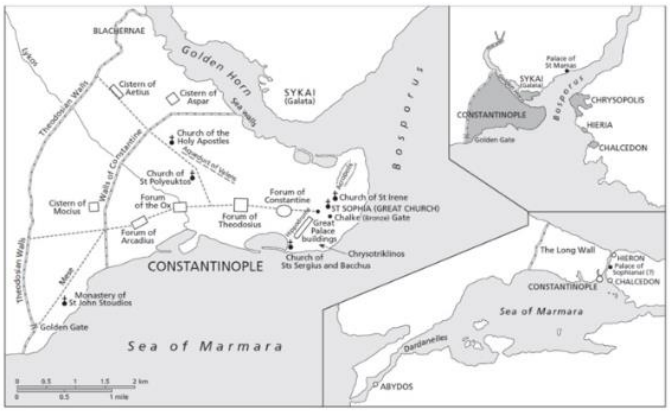

خريطة مدينة القسطنطينية

(Shepard, 2008: 113)

رقم (٤)

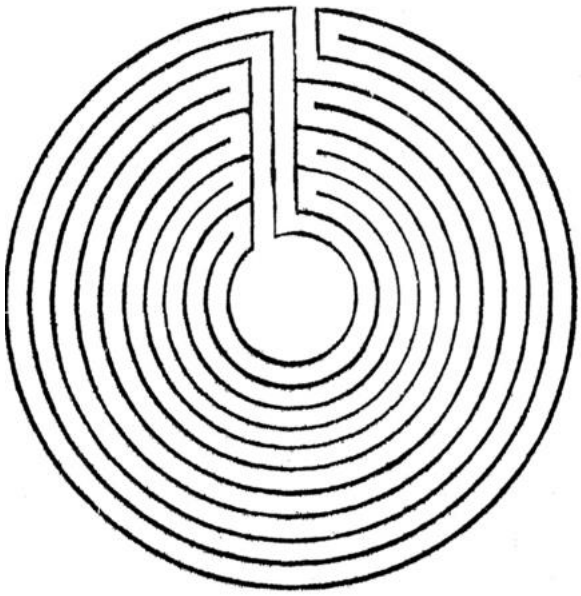

المتاهة المعقدة إحدى رموز الوثنية في أوروبا

أوردها القزويني على أساس أنها خريطة لمدينة القسطنطينية

(القزويني، د.ت، ٦٠٤